مبلغ زهيد عشرة سنتات او عشرين سنتا في رحلة بحرية طويلة في البحر الابيض المتوسط ، خلف الصخور التي لم تكن تسمح لاية باخرة بالاقتراب من الشاطىء اكثر من ميلين او ثلاثة اميال، فكانوا يعبرون بنا بمراكبهم في الممرات الضيقة بين الصخور . وكان هؤلاء العرب الوسيمون ،الاقوياء، الفارعو الطول ، هؤلاء البحارة العرب اليافاويون يحبسون انفاسهم لبرهة وهم يبتسمون قبل ان يلجوا بنا الى منطقة الصخور ؛ ومن ثم يضبطون حركة تجديفهم بالعد ١ ، ٢ ، ٣ ثم ينطلقون بنا في خط مستقيم الى عرض البحر مسافة ميل الى ان نصل الى البواخر حيث كانوا يوزعون علينا هناك الملبس والفواكه . وكان القبطان يحب كثيرا هؤلاء الفتيان، وكنا جميعا فتيانا يهودا من الجمنازيوم ، وان صديقي العزيز عكيفا غنزبرغ ، اذا ما زال حيا ، يستطيع ان يشهد بصحة ما اقول ، وكنا نعود من رحلتنا البحرية محملين بالهدايا اي اغنى عشرة اضعاف من الناحية المالية من السنتات العشر او الخمسة عشر التي كنا ندفعها للبحارة . لقد احببنا البحارة كثيرا ، فما من مرة اساؤوا الينا .

فلماذا نضطهد وننفي ونستولي على بيوت واراضي الناس الذين كانوا يحسنون معاملتنا كافراد ، وكانوا طوال السنوات الالف او الالف والخمسماية الاخيرة من التاريخ هم الوحيدون الذين احتضنوا اليهود بين صفوف ابنائهم ورحبوا بهم بين ظهرانيهم عندما كان اليهود يفرون من الاضطهاد من ديار الى اخرى الى ان استقر بهم المقام في الديار العربية في مصر والعراق ولبنان وسوريا وفلسطين الخ ... ولهذا توجه الكثيرون منهم الى فلسطين — طلبا للامان والطمانينة وللنجاة بأرواحهم من المذابح . وانني لا استطيع مغالبة ما يعصر قلبي من مشاعر الاسى كلما قرات عن اسر عشرة من رجال فتح ، او عن نسف البيوت لانهم اكتشفوا في الاراضي المحتلة ، او في اسرائيل ذاتها ، بعض العرب الذين ساعدوا فدائيي فتح — المقاتلين من اجل التحرير ، وعندها ينتحب قلبي واتساءل ترى كم دفعوا من النقود رشوة للمخبر الذي خان اخوته العرب ؟ اذ من اساليب الصهيونيين المعتمدة رشوة اي شخص يخدم مصالحهم بدفع البقشيش له .

هنالك شيء لن انساه ابدا ، فاسمح لي ان آخذ من وقتك دقيقة او دقيقتين لاحدثك عن طبيب الاسنان العربي الذي لا اذكر اسمه ، مع انه ينبغي علي ان اذكر اسمه ، ولاحدثك عن خدماته لي كشخص غريب عنه تماما — خدمات عربي الى فتى قومي يهودي ، ولا استطيع ان افهم هذه الخدمات الا في اطار الانسانية الحقيقية والمعايير الاخلاقية .

في ايام طفولتي ، لسبب او لآخر ، لم ازر مطلقا طبيب اسنان الا لغرض نزع بعض أسناني بأصابع اليدين ، وليس بواسطة اية ادوات مطلقا وكان ذلك في روسيا . الآن تذكرت — زخريا هو اسم طبيب الاسنان العربي الذي اود ان احدثكم عنه . كيف قفز اسمه دفعة واحدة في مخيلتي ؟ لا ادري ... عندما كنت في يافا اتعلم في الجمنازيوم كان هنالك سن ناتىء من مقدم فمي كثيرا ما انغرس في شفتي وادماها . وفي هذه الاثناء كنت قد نضجت وبدات احلق ذقني لابدو وسيما ، اذ كانت هنالك فتيات يشاركننا مقاعد الدراسة ، اما ذلك السن الناتىء فلم يحفل به أحد من عائلتي — أمي أو جدي او جدتي — الذين كانوا في غاية اللطف معي ، بيد انهم كانوا يتمتمون احيانا بعض الاحاديث عن ترهات وخزعبلات ومعتقدات ينسبونها الى التراث الحضاري اليهودي وتعاليم الديانة اليهودية التي هي في نظري تعاليم اخلاقية مجيدة وحتى اليوم اجد ان شجاعة الانبياء تفوق حدود تصوري ، بيد انه كان هنالك كثير من المظاهر المتخلفة البالية كهذه التي سأرويها على مسامعكم الان.كنت أخاطب جدتي قائلا : جدتي، ماذا سنصنع بهذا السن البارز من مقدم فمي ؟ » فتقول لي : « اذا نزعنا ذلك السن الناتىء ستدمى عيونك وتنز وتصبح أعمى » . وبهذه الطريقة اقنعوني ، فأنا لا اريد ان افقد عيني . ولكني بعد ان التحقت بالجمنازيوم اصبحت مسؤولا عن نفسي ، وكان عمري يومها حوالي خمسة عشر عاما . وكلما وددت ان احلق ذقني بشفرة حقيقية ، وتأملت وجهي في المرآة كان ذلك السن الكبير البشع يطل من مقدم فمي وشفتي مشقوقة تحته والدم يسيل منها . وكان أخي في نيويورك يبعث لي ، عادة ، اربعة دولارات او خمسة في الشهر ، وفي كثير من الاشهر كان لا يرسل لي شيئا لانه كان عاطلا عن العمل في معظم الاحيان . فكنت اتردد على المصرف الصهيوني او مصرف الاستيطان اليهودي أيا كان اسمه ، لاستفسر عما اذا كان أخي قد بعث لي أية نقود . وقد رأيت في جوار المصرف يافطة مكتوب عليها : « طبيب أسنان — نتكلم الانكليزية » . وحيث انني